إشاريات وصف النار في جزء عمّ

مقاربة سياقيّة تداوليّة

الدكتورة نهلة عبد العزيز الشقران
أستاذة اللغة والنحو المشارك، قسم اللغة العربية، الجامعة الهاشمية، الأردن
n.alshgran@yahoo.com

الدكتور رياض رزق الله أبو هولا
أستاذ اللغة والنحو المشارك، قسم اللغة العربية، الجامعة الهاشمية، الأردن
Hola9775@gmail.com

الملخّص:

تقوم التداوليّة على مفاهيم عدّة، من بينها الإشاريّات التي تهتمّ بدراسة اللغة في سياق الخطاب الذي وردت فيه، وإظهار مقاصده، من هنا، تهدف هذه الدراسة إلى دراسة أنواع الإشاريّات في وصف النار في جزء عمّ، لما له من خصوصيّة، إذ يغلب على سور هذا الجزء وصف الجنّة والنّار، واتّسم بالوحدة الموضوعيّة في الترغيب بالجنّة، والترهيب من النار.

تناول البحث الإشاريّات بأقسامها، وهي: الإشاريّات الشخصيّة، والإشاريّات المكانيّة، والإشاريّات الزمانيّة، وعني ببيان الجمال اللغويّ في الوصف والدلالة للخطاب القرآنيّ، وأثر ذلك في الاستعمال القرآنيّ الخاصّ، وعلاقته بالسياق الداخليّ والخارجيّ، من حيث التواصل والتأثير، وما يستهدف مستقبل الخطاب، وذلك للوصول إلى الرسالة الإبلاغيّة، كما عرض لوصف النار ومرادفاتها في جزء عمّ في السياقات المختلفة، لأنّها تخاطب المتلقي في أبعادها المختلفة، وتوصل له رسائل تحذيريّة بهدف التأثير، فالخطاب القرآني رسالة سماويّة ذات نظم لغويّة مختلفة عن أيّ خطاب آخر.

ويتوصّل البحث في دراسته إلى نتائج أهمّها ورود أنواع مختلفة للإشاريّات في وصف النّار في جزء عمّ، ممّا يسهّل توصيل الرسالة الترهيبيّة وفهم مقصد الخطاب، ويسهم في بناء انسجامه وإظهار جماليّاته اللغويّة وإعجازه.

الكلمات المفتاحيّة: التداوليّة، الإشاريّات، السياقيّة، النّار، جزء عمّ.

Abstract:

Pragmatics is founded upon several core concepts, among which deixis plays a pivotal role. Deixis focuses on the study of language within the context of discourse and aims to reveal the intended meanings embedded within that context. This study seeks to examine the various types of deictic expressions employed in the descriptions of Hell in Juz' 'Amma, which holds a distinctive thematic character. The surahs of this part of the Qur'an are predominantly characterized by descriptions of Paradise and Hell, and are marked by a thematic unity that alternates between incentivizing belief through promises of Paradise and warning through vivid depictions of Hell.

The study explores the categories of deixis—personal, spatial, and temporal—highlighting their aesthetic and semantic roles within Qur'anic discourse. It analyzes how these expressions function in conveying specific meanings, in relation to both internal and external contexts of communication, and how they contribute to delivering the intended illocutionary force of the message. Furthermore, the study addresses the various terms used to describe Hell in Juz' 'Amma and their contextual usage, underscoring their role in engaging the audience on multiple levels and delivering cautionary messages aimed at eliciting a transformative response. The Qur'anic discourse, being a divine message, is distinguished by its unique linguistic structure that sets it apart from all other forms of communication.

The study concludes that a variety of deictic expressions appear in the descriptions of Hell in Juz' 'Amma, facilitating the delivery of the

intended warning message and enhancing comprehension of the discourse's objectives. These expressions also contribute to the coherence, linguistic aesthetics, and the inimitability (iʿjāz) of the Qur'anic text.

Keywords: Pragmatics, Deixis, Contextuality, Hell, Juz' 'Amma

المقدمة

بسم الله، والحمد لله الذي أنزل القرآن بلسانٍ عربي مبين، واصطفى أمّة العرب بهذا الفضل الكبير، فالقرآن الكريم أكسب اللغة العربيّة ميزات عدّة، فوحَّد لغة العرب، وأكسبها الخلود والبقاء، وأحدث فيها العلوم المختلفة، ومن واجب كلّ معنيّ باللغة العربية التبصّر بشؤونها في التركيب القرآنيّ، وهذا الذي دفعنا للكتابة في هذا الموضوع، علاوة على شرف القرآن ومنزلته العليا، وقلّة الدراسات في التداوليّة وبالخصوص في القرآن الكريم، ممّا يدعو إلى الرغبة في الكشف عن سبر أغوار التداوليّة في إشاريّات الخطاب لوصف جهنّم في جزء عمّ، ودراسة أبعاد ذلك النفسيّة والاجتماعيّة من وجهة نظر التداوليّة، فقد أصبحت هي الأقدر على فهم الخطاب في ضوء اهتمامها بالقناة التبليغيّة كاملة.

أمّا في ما يخصّ المنهج الذي اتبعناه فهو المنهج الوصفيّ التحليليّ، بتحليل المعنى في سياق الاستعمال تحليلاً إجرائيّاً، وفق الرؤية التداوليّة القائمة على الاهتمام بالعلاقات المتبادلة بين المتكلم والمخاطب، وفيما يخصّ القرآن الكريم فهو بلا شكّ كلام الله المعجز، فالتحليل يكون لتوضيح مقاصد الخطاب القرآني، والكيفيّة التي يتلقّاها المتلقي والتأثيرات التي خلّفها الخطاب في نفسه عبر قناة الاتصال.

تتجلّى أهميّة هذا الموضوع في توظيف الإشاريّات، ولما لها من دور في عمليّة التواصل الخطابيّة؛ وبيان ما يخصّه من إشارات شخصيّة ومكانية وزمانيّة، وما لهذا من أهميّة في الكشف عن الخطاب وحال المبلّغين به في العملية التواصليّة، أمّا سبب اختيار الدراسة لوصف النار في جزء عمّ، فلما يتضمّنه من عناصر إشارية متنوّعة ومواقف تواصليّة تتطلّب إظهار أبعادها التداوليّة، فجزء عمّ فيه ترغيب وتهويل في آياته بكثرة، ولم يقتصر على وصف الجنّة والنّار مثاني في السور لمشاهد العذاب والنعيم، بل وصف النار وسوء المصير فقط في سورتين: (القارعة، والهمزة)، دون أن يشير إلى

الجنّة وحسن المصير، وهذا مما يسهّل تطبيق دور الإشاريّات استراتيجيات خطابيّة، فكلّ القرآن معجز بألفاظه وخصوصيّته، وهو رسالة ربانيّة توجّه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمخاطبين من الناس جميعا للتأثير فيهم.

جزء عمّ في غالبه سور مكيّة ما عدا سورتي البيّنة والنصر، تتفاوت سوره في الطول والقصر ابتداء من ربع وجه حتى وجهين، ويلاحظ عليه وحدة الموضوع، والحديث في وصف البعث والحساب وأهوال يوم القيامة، وإعمال العقل في التدبّر، وما يخصّ مسالة التوحيد، وعقاب كلّ من أنكرها، وذكر النار ومرادفاتها، وبناء عليه، بيّنت الدراسة نماذج للسياق اللغوي الذي وردت به هذه المسميّات.

وفي ما يخصّ الدراسات السابقة، ففي الدراسات اللغوية في القرآن الكريم معين لا ينضب من الأبحاث والأطروحات التي عرضت لأساليب لغويّة مختلفة، وما يميّز الدراسة أنّها خصّصت وصف النّار في جزء عمّ، ثم وفقاً للرؤية التداوليّة بالاعتماد على أساسيّات الخطاب في التواصل اللغويّ.

قُسّمت الدراسة إلى مهاد عُرض فيه وصف النار في جزء عمّ، ومبحثين، الأول: الإشارات الشخصيّة في جزء عمّ، والثاني: الإشارات المكانيّة والزمانية في جزء عمّ، وخاتمة ضمّت النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

والله وليّ التوفيق

وصف النار في جزء عمّ

يُعدُّ القرآن الكريم النموذج الأسمى للدعوة إلى الحقّ وإنكار الباطل، فهو مليء بالحجج والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات وحدانيّة الله تعالى وغيرها؛ وما يترتّب على هذا من عقوبة لمن ينكر أو يكفر، إذ لم يقتصر خطاب القرآن الكريم في وصف الجنة على من آمن وصدّق، بل أتى على وصف النار بطرق لغويّة مختلفة، سواء أذكرها مع وصف الجنّة أم وحدها، وتنوّعت الدلالات في عرضها، من تهديد ووعيد وتنفير وتحقير وغير ذلك، لتكون ألزم للابتعاد عنها، وأدعى إلى التصديق والتوحيد الذي ينجّي منها.

وهذا سِمتُ السور المكيّة عامّة[1]، فهي ترسي قواعد الإيمان، وتبني الإسلام الحقّ، لذا فقضيتها الأولى هي التوحيد، والردّ على المشركين، حاولت بناء الفرد المسلم، وإرساء قواعد الإيمان بالله تعالى وترك ما سواه، وإدحاض حجج منكري البعث والحساب، ولأنّ القرآن الكريم معجز في لفظه ومعناه، فإنّه يصعب معرفة معاني الألفاظ ودلالاتها إلّا من السياق، فمن الواجب النظر إلى اللغة ابتداء بالتركيب مروراً بالسياق والدلالة وانتهاء بالتبليغ والرسالة، وهذا ما يظهر جليّاً في التداولية والنظر إلى اللغة في الاستعمال.

سياقات الظروف الانتاجيّة للخطاب مهمّة لفهم الرسالة وتأويلها، وهذا ما درسته التداوليّة في مبادئها كالإشاريّات التي تعدّ من أهم الآليّات اللغويّة في التحليل التداوليّ، حيث يقتضي تحديد مدلولها معرفة السياقات المحيطة بالخطاب التبليغيّ.

الخطاب القرآني خطاب التأثير بالمتلقين منذ أن نزل كلام الله تعالى وحتى يوم القيامة، وكلّ ما يخصّ وصف النّار يؤثّر بالنفس ويهذّبها، علاوة على أنّ الخطاب التبليغيّ للمؤمنين يبدو بوصفها، فهو خطاب ضمنيّ لبيان السلوك الصحيح الذي يجب أن يتبعوه، وفيه الدليل القاطع الذي يجعلهم يتهيّبون لأيّ كلمة أو موقف قد يوقعهم بالشرك.

لذا ورد وصف النار كثيرا في سور هذا الجزء، "طابعها الخاصّ يجعلها وحدة على وجه التقريب في موضوعها واتجاهاتها وإيقاعاتها وصورها وظلالها، ويغلب فيها وصف الجنّة والنّار وأهوال يوم القيامة"[2]، علاوة على ذكر مسمّيات عدة لها، كجهنّم والجحيم والسعير، فكلّ ملفوظ يتكوّن من مرسل ومستقبل ومكان التلفّظ وزمانه، ويتحدّد مرجع هذه القرائن بوجود المتكلّمين في وضعيّة التواصل عن طريق الكشف عن مختلف أغراضها التداوليّة، وقد اهتم علماء التداوليّة بها واعتبروا "أنّ النصّ يتألف من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخليّة التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمانية والروابط الإحاليّة في تحقيقها"[3]، حيث بذلت محاولات جادة لإدخال الجوانب السياقيّة في التفسير الدلاليّ، فأصبحت الإشاريّات مجالاً مشتركاً بين علم الدلالة والتداوليّة[4].

---

(1) ليست جميع السور مكية، بل هناك سورتان مدنيتان: البينة، والنصر.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، 3800/6.

(3) سحالية، عبدالحكيم، التداوليّة امتداد شرعي للسيمائيّة (السيماء والنص الأدبي)،421.

(4) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 17.

والإشاريّات هي تلك الأشكال الإحاليّة التي ترتبط بالسياق، "تنتسب –الإشاريّات- إلى حقل التداوليّات لأنّها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه"[1]، فلا تحمل المفردات قيمة تبليغيّة بحدّ ذاتها، دون أن ينظر إليها في سياقها، وظروفها الزمانيّة والمكانيّة.

في ما يأتي سأذكر أهم الإشاريّات البارزة في وصف النّار ومرادفاتها في القرآن الكريم وفقاً للسياق الذي وردت فيه.

- **المبحث الأول: الإشاريات الشخصيّة**

ورد ذكر النّار ثماني مرات، في جزءّ عمّ، وستمثّل الدراسة على الإشاريات الشخصيّة بالاختيار منها كما في قوله تعالى: (فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ (9) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ (10) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى (11) ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ) الأعلى: ٩ - ١٣، فالوصف في بداية الآية للنار ابتدأ بذكر الإشاريّات الشخصيّة بالوصل بـ(الذي)، بالإشارة إلى الأشقى في الآية التي تليها، والعنصر الإشاري ضمير الغائب يحيل إلى الذكرى، في حين أنّ هذا هذا العنصر حُذف مع إسناد الخشية إلى الله، فهي حاضرة في عمله وقلبه، لذلك لم يذكر التركيب اللغويّ في وصف هيئة من يخشى أنّه يخشى الله، فابتداء الآية بالسين المرافقة للفعل دلّت على الاستجابة لتبليغ الذكرى من قبله، أمّا الأشقى فهو بعيد عنها، لذا اختار التركيب القرآني الأشقى من الشقاء والبعد، "فالشين والقاف والحرف المعتلّ أصلٌ يدلّ على المعاناة وخلاف السهولة والسعادة"[2]، ففي ذكرها قيمة تداوليّة مقصودة ومناسبة للسياق، فيشكّل السياق تواصل إشاري استدلاليّ[3]، إذ يبيّن الخطاب الفرق بين من تنفعه الذكرى ومن لا تنفعه، "أي: سيتّعظ بوعظك من يخشى الله فيزداد بالتّذكير خشية وصلاحا يتجنّبها الأشقى أي: ويتجنّب الذّكرى ويبعد عنها الأشقى من الكفّار لإصراره على الكفر بالله وانهماكه في معاصيه"[4].

وتعرّفه الآية بناء على شقاوته التي بدت فيما سبق في السياق التداوليّ بأنّه الذي يصلى النّار الكبرى، فهي ليست أيّ نار في الآخرة، بل أشدّ درجاتها، وليس هذا حسب، وتبرز أهميّة العنصر الإشاريّ الموصول الذي تجاوز البعد اللغويّ، فلو ابتدأت الآية بالفعل كسابقتها لاتضح المعنى، لكنّ الغرض التداوليّ من استعماله في التخصيص بالشقاوة دون غيره، علاوة على دلالة الاستمراريّة في الشقاوة إلى أبد الآبدين في الآية التي تليها، إذ تصفه بأنّه لا يموت فيها موتاً مريحاً، ولا يحيى حياة هنية فهو لا محالة حيّ[5]، وتأتي الأفعال المنفية بعد حرف الربط (ثمّ) الذي يفيد التراخي بين الرّتب في الشدة، فلهو يتردّد بين الحياة والموت، فلا يستريح من العذاب بالموت، ولا يحيا حياة حقيقيّة تنفعه دون شقاء، وفي هذا شدة أكثر من الصلي بالنار.

ورد الفعل نفسه (تصلى) في وصف النار في قوله تعالى من سورة الغاشية: (هل أتاك حديث الغاشية وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ (2) عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ (3) تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ (4) تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ)

---

(1) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، 82.
(2) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، 202/3.
(3) روبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، 87.
(4) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، 516/5.
(5) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرّر الوجيز، 470/5.

الغاشية: ١ – ٥، وجاء الفعل (تصلى) في بداية الآية دون سبقه بموصول كسابقه، بل بسبقه بفعل مسند إلى ضمير الخطاب، ويشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في خطاب تواصليّ بين الله ورسوله، ليبثّ منه رسالة تحذيريّة للناس عامّة، فبمعرفة السياق التداوليّ في تحديد الفئة التي يصفها الخطاب يبدو أنّ الفعل (تصلى) هنا هو نتيجة لما سبق، وليس المقصود منه التخصيص كالسياق السابق الذي وردت فيه النّار، لذا لم يأتِ مسبوقا بالإشارة الموصوليّة، بل جاء محيلاً على (وجوه) إحالة بعديّة، لبيان حال أصحاب النار، فهي وجوه كثيرة لا حصر لها.

يأتي ترتيب سورة الغاشية بعد سورة الأعلى، فجاء الخطاب متتابعاً في تبليغ الدعوة في السور المكيّة، فيقول أبو حيان الأندلسي: "ولمّا ذكر فيما قبلها فذكّر، وذكر النار والآخرة، قال: هل أتاك حديث الغاشية. والغاشية: الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يوم القيامة"[1]، وقيل: النار[2]، وقيل: هي القيامة لأنّها تغشى الخلائق بأهوالها، وقد ذهب إلى أنّ المراد بالغاشية هنا القيامة أكثر المفسّرين[3]، وليس المقصود بالاستفهام معرفة الجواب بالإيجاب أو النفي، بل بالنظر إلى السياق التداوليّ يتّضح أنّ الله سبحانه وتعالى يبلّغ رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بحديث الغاشية، فيخرج الخطاب لدلالة أخرى غير مباشرة في استخدامه، يرى المفسّرون أنّها قد تكون ضمن دلالتين، الأولى: أن تكون بمعنى قد جاءك حديث الغاشية، أمّا الثانية: أن يكون المعنى هل كان هذا من عملك لولا ما علّمناك؟ وفي هذا تعديد النعمة[4]، وهذا الأولى لما فيه من التشويق للخبر[5]، فاستفتاح السورة بالاستفهام لتحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر، فإنّ نظر إلى أنّها استفهاميّة سيخرج الاستفهام إلى معنى آخر، هو ما تسميه التداولية بالفعل الإنجازي غير المباشر.

ساعدت دراسة الخطاب تداوليّاً من خلال السياق والمقام إظهار المقاصد الحقيقيّة للخطاب، والهدف المبتغى من الرسالة التبليغيّة، ويبدو هذا كما في سياق الردع والزجر في وصف الجحيم، في قوله تعالى: (كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (14) كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) المطففين: ١٤ - ١٥، يبدو في الخطاب سلسلة من ضمائر الجمع المسندة إلى الأفعال المضارعة والأسماء المشتقة في الأفعال الكلاميّة: (يكسبون- لمحجوبون - لصالوا - تكذبون)، والغرض التداوليّ من ذكر العناصر الإشاريّة المتمثّلة بالإحالة الضميريّة هو بيان التقريع الذي يناسب الفعل الجمعيّ الذي فعلوه، من تكذيب وكفر، فهدف الخطاب هو الردع عن التكذيب[6]، وفي سؤالهم هذا الذي كنتم به تكذبون معنى إنجازيّ ضمنيّ، وغرضه التداوليّ أيضاً التوبيخ والتقريع[7].

وفي سورة النازعات: (فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (37) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (38) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (39)النازعات: ٣٧ – ٣٩ وظّف العنصر الاشاريّ الدالّ على المفرد الغائب في الأفعال ليحيل إلى من سعى، ويرى عمله، فقد يكون ممّن طغى وآثر الحياة الدنيا على الآخرة، لتكون الجحيم مأواه، والغرض من توظيف هذا تداوليّ، فيه إشارة لكلّ من تجاوز في الكفر في طغيانه، يبتغي الدنيا ولا يفكّر في الآخرة، فتكون الجحيم هي المأوى، وجاءت (المأوى) بالتعريف دون الإضافة للضمير، لمّا

[1] أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، 461/10.
[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف، 742/4.
[3] ينظر الشوكاني، فتح القدير، 520/5.
[4] ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 461/10.
[5] الشوكاني، فتح القدير، 520/5.
[6] ينظر الكشاف، الزمخشري، 722/4.
[7] ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، 452/5.

علم أنّ الطاغي هو صاحب المأوى[1]، وتركت الإضافة، فالتخصيص معلوم من المعنى، حيث توعّده الله بمزيد من العذاب في الجحيم بسبب طغيانه.

وردت ضمائر الجمع في الخطاب القرآني الآتي من سورة النبأ: : (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا (21) لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا (22) لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا (23) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا (25) جَزَآءٗ وِفَاقًا (26) إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا (27) وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا (28) وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا (29) فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا) النبأ: ٢١ - ٣٠ في الأفعال: (يذوقون، كانوا، يرجون، كذّبوا، فذوقوا) فيصف حال أهل النار بالإحالة البعديّة إلى (الطاغين) إلى أن ينتهي الخطاب بالأمر الذي يخرج عن معناه الإنجازيّ الجقيقيّ إلى معنى غير حقيقيّ وهو الإهانة والتحقير، علاوة على التهديد في فعل الأمر (ذوقوا).

وفي قوله تعالى في سورة الفجر: (كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا (21) وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا (22) وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ) الفجر: ٢١ - ٢٣ يظهر وصف جهنّم بعد مجيء الله جلّ جلاله باختيار لفظة (ربك) بعنصر إشاريّ شخصيّ بإحالة خارجيّة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم معروفة من السياق القرآنيّ، وتتبعه صفوف الملائكة، هذا الأمر يجعل الانسان يتذكّر، وفي تذكّره وجوه كما يرى الرازيّ: الأول: أنّه يتذكّر ما فرّطَ فيه، الثّاني: يتذكّر أي يتّعظ، الثّالث: يتذكّر يتوب[2]، ويبنى الفعل للمجهول في (جيء) لانشغال الناس بهول مجيء الله وملائكته من جهة، ولتحقيق سرعة توالي الأحداث من جهة أخرى.

وفي سياق تأكيد مصير الكافرين يأتي الخطاب القرآني في سورة البيّنة: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ) البينة: ٦ ، فاستعمل الخطاب العنصر الإشاريّ "أولئك" يحيل إلى مرجع مذكور قبله وهو (الذين كفروا) على سبيل الإحالة القبليّة التي تسير في منحى تأكيديّ لإثبات مصيرهم بالإشارة إليهم، وفي ذلك إشارة لهم في حصرهم في فئتين: من أهل الكتاب، ومن المشركين، والجامع بينهما الكفر، والعنصر الإشاريّ (أولئك) يساهم في بيان الغرض التداوليّ في التحذير من مصيرهم، وتأكيداً لهذا المصير وردت النّار مضافة إلى جهنّم، وكأنّ اسم الإشارة (أولئك) يبعدهم تخصيصاً لهم في العذاب، وفي هذا التخصيص غرض تداوليّ وهو الوعيد.

وجاء الوصف للسعير في قوله تعالى من سورة الانشقاق: (وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ (10) فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا (11) وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا (12) إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا (13) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (14) بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا) الانشقاق: ١٠ - ١٥ في جملة خبريّة تابعة لما قبلها من الأوصاف، ومتبوعة بما بعدها من التفسيرات، فهي تحمل حقيقة إخباريّة مفادها التذكير والوعظ لكلّ من تغافل عن الآخرة، واتبع هواه، ونسي آخرته.

ابتدأ الوصف بالعنصر الإشاريّ الموصولي (من)، ثم أتبع بالعنصر الإشاريّ في الإحالة البعديّة للضمير الغائب المستتر للجملتين: (يدعو ثبورا/ يصلى سعيرا)، "والثّبور: الهلاك ويصلى سعيراً أي:

[1] يرى البصريون أنّ العائد هنا محذوف، ويرى أهل الكوفة أنّ (ال) عوض عن الضمير، ينظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 401/10.
[2] ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، 159/31.

يدخلها ويُقاسي حرّ نارها وشدَّتها"[1]، فالضمائر المستترة في الاستعمال اللغويّ ضرب من الإشاريّات التي تدرك الإحالة عليها من السياق، وتشير إلى من يُوجّه له الخطاب، ثم اختتمت الصورة ببيان العنصر الإشاريّ الزمني الماضي لمن أوتي كتابه وراء ظهره متمثّلاً في الفعل (كان)، للمقارنة بين الحالين: ما كان عليه في الدنيا، وما سيكون عليه في الآخرة

أمّا العنصر الإشاريّ الضمير الهاء المتصل في الإحالة البعديّة المؤكّد بأداة التأكيد (أنّ) أنسب في وصف جبروته وعصيانه، واختتم الوصف بوصل جوابي في (بلى) وردّ التأكيد بتأكيد مثله في أنّ الله بصير به، فيرسل الخطاب رسالة تحذيريّة لكل الناس، مفادها أنّ الإيمان بالله والعمل الصالح هو الأبقى للإنسان، وخير ما يخرج فيه من الدنيا، ليكون زوادته يوم القيامة.

- **المبحث الثاني: الإشاريّات المكانيّة والزمانيّة**

التحمت العناصر الزمانيّة والمكانيّة في وصف النّار، فهي مكان محدّد، وهذا المكان سيكون في زمان غير معلوم لنا كما يأتي:

- **النّار**

جاءت النار عنصراً مكانيّاً على هيئة النكرة الموصوفة في قوله تعالى: (وجوه يومئذ خاشعة)، وهذه الجملة تحمل إشارة تحيل إلى (وجوه) التي ذكرت أولاً ضمن العنصر الإشاري الزماني (يومئذ) في إشارته إلى يوم القيامة فاصلة بينها وبين الخبر (خاشعة)، وفي هذا يقول الرازي: كأنه تعالى قال: وجوه يوم القيامة خاشعة عاملة في الدنيا، ولكنّها ناصبة في الآخرة[2]، وقيل تنعّمت بأعمال السوء في الدنيا، فهي في نصب منها في الآخرة، وقيل عملت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة، وقيل هم أصحاب الصوامع من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان الذين اعتقدوا في الله ما لا يليق به، فلا تنفعهم عباداتهم وصومهم وقيامهم[3]،

ووردت النّار نكرة موصوفة، وبالوصف نفسه كما في سورة القارعة التي استهلّت الوصف بالترهيب مشحونا بالتهويل، ولم تصف أهل الجنّة، بل اكتفت بذكر أنّهم في عيشة راضية، ووصفها كان للنّار: (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ (8) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ (9) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌۢ) القارعة: ٦ – ١١.

يمرّ الخطاب سريعا بالجنّة عنصراً مكانيّاً يأتي نتيجة مشروطة لمن ثقلت موازينه، دون ذكر للمسمى، بل يكتفي بذكر الحالة النفسيّة التي يكون عليها سكّان المكان، ونتيجة ذلك أنّهم في عيشة راضية، أمّا من كفر وخفّت موازينه، فلا توضع في موازينهم إلا السيئات، ونتيجة ذلك أمّه هاوية، قال كثير من المفسّرين: المراد بالأمّ نفس الهاوية، وهي درك من أدراك النار، وهذا كما يقال للأرض: أمّ الناس لأنّها تؤويهم[4]، فتكون بهذا الوصف عنصراً مكانيّاً تمهيديّا لذكر النار بعدها، فكأن الخطاب عمد إلى تكرار المكان مرتين: مرة بهاوية التي هي درك من أدراك النار، ومرة بذكر لفظ النّار.

---

[1] ينظر الشوكاني، فتح القدير، 493/5.
[2] الرازي، مفاتيح الغيب، 139/31.
[3] ينظر الزمخشري، الكشاف، 742/4؛ والرازي، مفاتيح الغيب، 139/31.
[4] ابن عطية، المحرر الوجيز، 517/5، ويقصد بها الجبهة، وقد تكون من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة: هوت أمّه، لأنه إذا هوى أى سقط وهلك، ينظر الكشاف، الزمخشري، 790/4.

ابتدأ الوصف بجملة خبرية محذوف أحد ركنيها، ثم بالاستفهام، ويفيد الاستفهام التحذير في موقف يعرض لأهوال يوم القيامة، وقيل للتعظيم والتهويل لشأنها[1]، "والحمل على معنى التفخيم والتعظيم أولى، ويؤيّده وضع الظاهر موضع الضمير، فإنّه أدلّ على هذا المعنى، ويؤيّده أيضاً قوله: وما أدراك ما القارعة فإنّه تاكيد لشدة هولها ومزيد فظاعتها حتى كأنّها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تنالها دراية أحد منهم"[2]، فتظهر العناصر الإشاريّة (الأنا، الهنا، الآن)[3] متمثّلة في سؤال للتهويل والتعظيم من الخالق،عن مكان يجد الإنسان فيه مصيره ومأواه الأبدي، وزمان يتجدّد فيه العذاب كل لحظة، فلا نهاية له ولا توقّف، "فلا يقف دور الإشاريّات في السياق التداوليّ عند الإشاريّات الظاهرة، بل يتجاوزه إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرّة في بنية الخطاب العميقة"[4].

- **الجحيم**

جاء الوصف للعنصر المكانيّ باختيار لفظة الجحيم كما في قوله تعالى في سورة النازعات: (فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ (34) يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ (35) وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (36) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (37) وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (38) فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (39) وأمّا من خاف مقام ربه، فإنّ الجنة هي المأوى) النازعات: ٣٤ - ٣٩ .

ذكر الخطاب الجحيم مرتين، في جملتين خبريتين، أولاهما فعليّة وثانتيهما اسميّة مؤكّدة، فيبدأ بوصف مشهد يوم القيامة المؤجّل، فهنا كما يرى ابن عاشور مجاز في الحصول والوقوع5، لزمن معلوم حدوثه مجهول زمانه، ويتضمّن الوصف عنصراً إشاريّاً زمانيّاً (يوم)، يحيل إلى يوم القيامة، واقع لا محالة، ويعرضه الخطاب حقيقة ماثلة، وله أبعاد تداوليّة، إذ تأتي الإشارة الزمانيّة في مقام التحذير والتهويل ليوم عظيم، وهذا اليوم أشارت إليه الآيتان الأولى والثانية، وإن خصّت الآية الثانية بالعنصر الإشاريّ الزمانيّ، فالجملة في الآية الثانية بدل اشتمال من جملة إذا جاءت الطامّة الكبرى، "لأنّ ما أضيف إليه يوم هو من الأحوال التي يشتمل عليها زمن المجيء الطامة وهو يوم القيامة"6، فالتذكّر سيكون في ذاك الزمن المؤجّل للزمن الحاضر في الدنيا، فيعرض الله على الإنسان عمله فيتذكّر ما سعاه في الدنيا، ويبثّ الوصف الحالة النفسيّة المصاحبة لهيئة الإنسان في ذاك الزمان المؤجّل بالعنصر الإشاريّ الزمانيّ (يوم)، والتفصيل الذي يقتضي الترتيب والتغاير بين الحالين النقيضين، فتأتي واو الإشراك عنصراً رابطاً بين الآيتين للإشارة إلى أنّ في اللحظة الزمنيّة نفسها التي يتذكّر الإنسان فيها أعماله تبرز الجحيم لمن يستحقّها.

ويتبع العنصر الإشاريّ الزمنيّ (يوم) بالفعل الآنيّ لحقيقة لم تأتِ بعد، وهذا من باب تقريب الصورة لزيادة التهويل في التذكّر لكلّ كبيرة وصغيرة، يقول ابن عاشور بشأن الفعل (برّزت): "وجيء بالفعل المضاعف لإفادة إظهار الجحيم، لأنّه إظهار لأجل الإرهاب"7، فهو قوة انجازيّة، وحدث الرؤية

---

[1] الشوكاني، فتح القدير، 591/5.
[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[3] ينظر يول، جورج، التداوليّة، 33.
[4] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة ، 81.
[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 90/30.
[6] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
[7] ينظر يول، جورج، التداولية، 33 وما بعدها.

يساهم في حصول الإرهاب، لذا جاء في الزمن الحاضر، في حين أنّ بقيّة الأفعال في سلسلة الخطاب هذا جاءت ماضيّة: (سعى- يرى - طغى- آثر).

ويختتم الخطاب بذكر العنصر الإشاريّ المكانيّ (الجنة) للفئة الأخرى التي عندما تذكرت كانت من أهل التقوى، فهم الذين خافوا الله، فلم يعصوه، و"في إِضَافَةِ الْمَقَامِ إِلَى الرَّبِّ تَفْخِيمٌ لِلْمَقَامِ وَتَهْوِيلٌ عَظِيمٌ وَاقِعٌ مِنَ النُّفُوسِ مَوْقِعًا عظيما"[1]، لذا فإنّ المأوى لهم الجنّة، على عكس الفئة الأولى التي حلّت في الجحيم، وتخلّدت بها.

وفي سياق التهويل يقول الله تعالى في سورة الانفطار:(إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ (13) وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ (14) يصلونها يوم الدين) الانفطار: ١٣ - ١٥ ، فيأتي الوصف مؤكّداً كذلك، والعنصر الإشاريّ الزمانيّ (يوم) الذي جاء بعد الفعل الدالّ على الحركة، فيتضافر المرجع الزمانيّ مع الأبعاد اللغويّة والسياقيّة لهدف تداوليّ يكمن في التحذير من خطورة هذا المصير، والاغترار بالدنيا الذي سيوجب الحسرة، والبعد عن الله الذي سيؤدّي إلى الخلود في الجحيم.

دلّ العنصر الإشاريّ المكاني (هذا) في قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ) المطففين: ١٦ - ١٧ على وجودهم في الجحيم، وكأنه مكان قريب جداً، على الرغم من أنّه لم يحدث بعد، وفيه إشارة إلى تعذيبهم وكونهم في الجحيم[2]، فهو ماثل أمام أعينهم، في حين كانوا يكذّبون به، ويحيل الخطاب ضمير الغائب في (به) إلى عذاب الجحيم، وقد تدخّل فيه البعد التداوليّ، إذ فيه إشارة إلى أنّ العذاب بالجحيم أمر متحقّق لكل مكذّب بالرسالة السماويّة، حين لا ينفع ندم وحين يحجب كل ظالم عن رؤية الله.

وفي سياق ردع مشابه في سورة التكاثرفي قوله تعالى: (كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ) التكاثر: ٥ – ٨ يبدو الغرض التداوليّ في تعظيم قدرة الله واتساع علمه بكلّ شيء، وما يترتّب على هذا من ضرورة التنبّه وعدم التشكيك بوحدانيّته وعقابه، ويتضمن الخطاب عنصرين إشاريين: زمانيّ ومكانيّ، يحيل إلى مكان جهنّم، وحصول هذا في وقوع يوم القيامة، غير أنّ هذا العنصر تجاوز المرجع الزمانيّ وحمل أبعاداً تداوليّة، إذ تأتي الإشارة الزمانيّة في مقام التحذير والتنبيه لئلّا تكون الجحيم هي المصير، حيث أظهر تصوير هول المشهد بالرؤية، وتكرّر حدث الرؤية مرتين، للتأكيد على حدوث الأمر، ومرآه حقيقة لكلّ إنسان، ويتضافر العنصر الإشاريّ الزمانيّ (يومئذ) في توصيل الصورة الترهيبيّة، فالهدف التداوليّ وصف حال الناس كأنّهم يرون أحداث يوم القيامة وعذاب الجحيم عياناً قبل حدوث المشاهد، للترهيب من جهة، وتأكيد اقتراب يوم الحساب من جهة أخرى.

- **جهنّم**

يصف الخطاب القرآنيّ جهنّم بالمرصاد، كما في سورة النبأ: (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا (21) لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا)النبأ: ٢١ - ٢٢، فإمّا أن يكون العنصر المكانيّ (جهنّم) موضعاً يرصد فيها خزنة النار الكفار ليعذبوهم، أو هي نفسها متطلّعة لمن يأتي إليها منهم، والمرصاد مفعال من أبنية المبالغة، فكأنّه يكثر

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 401/10.
[2] ابن عطية، المحرر الوجيز، 452/5.

من جهنّم انتظار الكفار[1]، في "مرصدة ومعدة للطاغين تنتظر وتترقب نزلاءها الكفار، وجهنم اسم من أسماء النار التي لها أسماء كثيرة، وسميت بهذا الاسم، لأنها ذات جهمة وظلمة بسوادها وقعرها"[2]، فتظهر صورة جهنّم مرعبة، علاوة على التأكيد الذي بدأ به الخطاب بأنّ جهنّم لا يفلت منها أحد، وهي بمثابة مكان ترتقب من يجتازها أو لا يجتازه لتبقي لديها من لا يجتاز، لتكون له مأوى ومستقراً، وتترك من يجتازها يتابع مسيرته حتى يصل إلى الجنة، فلا سبيل إلى الجنة إلا بقطع جهنّم والمرور بها أولاً.

يأخذ المكان بعداً مختلفا، وكأنّه وحش يترصّد لفتك فريسته، يقف في طريقه في الوصول إلى الجنة، فمن قوي - بعمله في الدنيا- على الوحش مرّ آمنا، ومن لم يعدّ العدة له كانت نتيجته البقاء مخلّدا في جهنّم.

وفي سورة الفجر يرسم الخطاب صورة كاملة لأحداث مهولة ليوم القيامة، مبدوءة بالزجر المتلو بالشرط، بتأثير التكرار للمصادر وللعنصر الإشاريّ الزمانيّ (يومئذ)، كما في قوله تعالى: (وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ) الفجر: ٢٣ ، يقول ابن عاشور: "أتبع زجرهم إنذارا بأنّهم يحين لهم يوم يفيقون فيه من غفلتهم حين لا تنفع الإفاقة"[3].

تتوالى الأحداث التي ترسم هيبة الموقف من حضور لله عزّ وجلّ وملائكته، ومجيء جهنّم حضورا ماثلا محقّقا وليس متخيّلاً كما كان في الحياة الدنيا، فإظهارالزمان في تلك اللحظة هو بؤرة الخطاب هنا، لذلك كُرّر مرتين، يوم يشير لمجيء جهنّم، ويوم يشير إلى محاولة الإنسان في التذكر لزمن مضى يحدّد مصيره في الزمن الراهن، فيسلّط الخطاب الضوء على الزمن غير المحدّد الذي لا يعلمه إلا الله، ويصوّره للمخاطب رسالة تحذيريّة لعلّه يدرك قيمة زمنه اليوم، ويعمل من أجل زمنه غداً.

- **الحطمة**

استهلّت سورة الهمزة بالحديث عن العذاب، وبدأت بذكر (ويل) وهو وادٍ في جهنّم، فلم تصف الجنة، ووصفت النار فقط باختيار لفظة (الحطمة) كما في قوله تعالى: (كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ (4) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ (5) نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ (6) ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ (8) فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةُۢ) الهمزة: ٤ - ٩، يشير تسمية النار بالحطمة إلى التحطيم والنهاية، وساهم أسلوب الردع والتهويل والوعيد في بثّ الرسالة الإبلاغيّة المشينة للناس كي لا يكون مصيرهم الحطمة، قال الزمخشري: "كَلَّا ردع له عن حسبانه. وقرئ: لينبذان، أيّ: هو وماله. ولينبذن، بضمّ الذال، أي: هو وأنصاره. ولينبذنّه فِي الحُطمة في النّار التي من شأنها أن تحطّم كلّ ما يلقى فيها[4]، والنبذ طرحك

[1] ينظر الشوكاني، فتح القدير، 442/5.
[2] العاصمي، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن، تفسير القرآن العظيم "جزء عمّ"،17.
[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير،335/30.
[4] الزمخشري، الكشاف، 796/4.

الشيء من يدك أمامك أو خلفك[1]، لذا جاء الفعل (لينبذنّ) في دلالته على الطرح والإلقاء بقوة أنسب من غيره في سياق التحطيم، فيوحي بالإهانة والتحقير.

وجاء الوصف بالردع أيضاً في سورة المطففين، كما في قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ) المطففين: ٧ - ٨ ، واختلف في معنى هذه اللفظة إن كانت اسماً للنار أم لا، ويقول ابن عاشور: "قد اختُلف في معناه على أَقوالٍ أَشهرها وأولاها أنَّه علم لوادٍ في جهنَّم، صِيغ بزنة فعيل من مادَّة السَّجن للمبالغة"[2]، وسمّي سجيناً: فعيلا من السجن، وهو الحبس والتضييق، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنّه مطروح- كما روى تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم، وهو مسكن إبليس وذرّيته[3]، وفي هذا التسمية صورة مقصودة للخطاب، يبرز بها المكان بوحشيّته، وظلامه، فالإشاريات المكانيّة لها قيمة تداوليّة تكمن في في أنّ الأماكن التي تشير إليها ليست في ذاتها، بل في ما تحمله من رسائل تبليغيّة، وما تؤدّيه من وظائف في الخطاب.

- **السعير**

وردت السعيرعنصراً مكانيّاً في قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (10) فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا (11) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (12) إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا) الانشقاق: ١٠ - ١٣، أي: "يصلى النار التي تسعر به، ويكون مخلدًا فيها أبدًا لأنه كافر"[4]، فتبيّن الآيات حال الكافر يوم القيامة، باختيار لفظ السعير عنصرا مكانيّاً، "والسعير: النار. والسُّعار حرّها، وهو السُّعر أيضاً"[5]، ودلالة هذا اللفظ التي تشير إلى حرارة النار واشتعالها، وما يترتّب على هذا الوصف من تعذيب في مقابل ما كان عليه في الدنيا من سرور خالف فيه الشرع وتجبّر وتكبّر، فباع الآخرة حين تلذّذ بما حرّمه الله، فآن له الآن أن يتعذّب أضعاف ما ذاق من سعادة لم تكن مشروعة.

يتضافر الزمان والمكان في إيصال الرسالة التنفيريّة لهيئة الكافر يوم القيامة، فالعنصر الإشاريّ الزمنيّ يدلّ على الزمن الكونيّ الذي يفترض سلفاً[6]، وسياق الكلام هو الذي يحدّد دلالته، بدا ذلك ببيان العنصر الإشاريّ الزمنيّ الماضي لمن أوتي كتابه وراء ظهره مثمثّلاً في الفعل (كان)، للمقارنة بين الحالين: ما كان عليه في الدنيا، وما سيكون عليه في الآخرة، أمّا (يصلى) فجاءت بزمن مغاير عن تسلسل الأفعال قبلها وبعدها، لأنّها بؤرة الحدث من وصف السعير، ونتيجة الخطاب وهدفه من ذكرها، فالعذاب أولاً حاضر ماثل كأن المخاطب يراه الآن، وهوثانياً مستمرّ لا يتوقف حين يبدأ الحساب.

---

[1] الخليل، العين، باب الذال والنون والباء.
[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 195/30.
[3] الزمخشري، الكشاف، 721/4.
[4] العاصمي، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن، تفسير القرآن العظيم "جزء عمّ"،17.
[5] الخليل، العين، باب العين والسين والراء.
[6] ينظر نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة المصريّة، 2007، 19

الخاتمة

تعدّ الإشاريّات من أهمّ الآليّات اللغويّة في التحليل التداوليّ، حيث يقتضي تحديد مدلولها معرفة السياقات المحيطة بالخطاب التبليغيّ، فتخلص هذه الدراسة إلى الكشف عن تضافر العناصر الإشاريّة مع العناصر النحويّة والدلاليّة في السياق القرآني في التراكيب التي وصفت النار في جزء عمّ، واتضح ذلك في ما يأتي:

- وصف النار في جزء عمّ خطاب تأثير بالمتلقين منذ أن نزل كلام الله تعالى وحتى يوم القيامة، وكلّ ما يخصّه يؤثّر بالنفس ويهذّبها.
- ورود عناصر إشاريّة متنوّعة للإشاريّات في وصف النار في جزء عمّ، ممّا يسهّل توصيل الرسالة الترهيبيّة وفهم مقصد الخطاب، ويسهم في بناء انسجامه وإظهار جماليّاته اللغويّة وإعجازه.
- ورد ذكر النار ثماني مرات في جزءّ عمّ، أمّا مرادفاتها، فذكرت الجحيم ست مرات، وكلّ من جهنّم والحطمة ذكرت مرتين، وذكرت السعير مرة واحدة.
- جاء الاستعمال القرآني للنّار ومرادفاتها في جزء عمّ في سياقات لغويّة مختلفة ومواقف تواصليّة تتطلّب إظهار أبعادها التداوليّة كاختلاف العناصر الإشاريّة الشخصيّة، عن الرسالة الترهيبيّة من الله سبحانه وتعالى إلى النّاس كافّة، وهذه الأمر شكّل بؤرة مركزيّة للوصف النار في جزء عمّ.
- تنوّع استعمال الإشارايّات الشخصيّة، وجاءت الإحالة بضمائر الغيبة أكثر من غيرها، لمناسبة موقف التهويل، وجاءت ضمائر الخطاب مرة بصيغة المفرد، فالرسالة الربانيّة للرسول صلى الله عليه وسلم ثم للناس جميعاً، وبدت ضمائر الجمع في خطاب الكافرين عامّة، وفي التعبير عن الله الواحد.
- وود العنصر الإشاريّ الموصوليّ حيناً لهدف تداوليّ في تخصيص معيّن، في حين اختيار التركيب الفعليّ في سياق آخر أراد عموم الوصف.
- استعمل التركيب القرآني العناصر الإشاريّة المكانيّة وفقاً للقصد من السياق، كتقريب صورة العذاب أو إبعاد فئة المعذبين عن رحمة الله هو مقصد تداوليّ أوليّ.
- ساعدت الإشاريّات الزمانيّة والمكانيّة في إظهار الوصف النار في جزء عمّ، فالزمان الذي يدخل الكافرون فيه النّار غير المعروف، لكنّه يصبح كأنه حقيقة ماثلة، والمكان المتخيّل (النّار) يُرى ويحسّ به، كأنّه موجود.

-

المصادر والمراجع

- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، الناشر: دار الفكر: بيروت،٢٠٠٠ م
- الرازي، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط 3، 2000م
- روبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة : سيف الدين دعفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت: لبنات ، 2003 م
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.
- سحالية، عبدالحكيم، التداولة امتداد شرعي للسيمائية (السيماء والنص الأدبي)، الملتقى الدولي الخامس للسيماء والنص الأدبي، المركز الجامعي، الطارف، الجزائر.
- أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ط1، 2004، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مراجعة محمد الاسكندراني، أحمد إبراهيم زهوة، بيروت: دار الكتاب العربي، 1999م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر 1984هـ.
- العاصمي، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، السعوديّة: دار القاسم للنشر، ٢٠٠٩م.
- ابن عطيّة، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية 1422 هـ.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، العراق: منشورات وزارة الثقافة، 1984م. تحقيق عبد الحميد الهنداوي، بيروت: دار الكتب العلميّة، 2003.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، الأردن، دار الشروق للنشر والطباعة والنشر، ط12، 1986،
- نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة المصريّة، 2007
- يول، جورج، التداوليّة، ترجمة قصي العتابي، الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2020م.